

و(بوشى كوسوتوى) كان مراسلة صادقا مع شجاعة و اخلاص يستحقان
احترامنا العظيم

الفصل الثامن

نانشان بعد الواقعة

ان (نانشان) تحرس (كينشو) فى مدخل بحيث جزيرة لياوتنج ومع
كون طولها ليست حادة الميول ولا وعرة الا انها ممتدة للخلف الى الامواج
العميقة فالمرجع مناسب للاغراض الدفاعية ولكنه أقل من هذه الوجهة من
(نانكوا نانج) الكائنة بعيداً الى الخلف وفى الحرب الصينى اليابانى قاومنا
الصينيون مدة فى (نانكوا نانج) هذه أما السبب الحامل للروسين على أن
يفضلوا أن يستحكموا فى (نانشان) عن (نانكوا نانج) هو أن الاولى
أقرب من (دالى) ميناهم الوحيدة التى لا تتناجج وكانوا قد اختاروا موقعا
على الشاطئ المقابل (لليونشوتون) طرف السكة الحديدية فى رأس خليج
(تالان) وبنوا هناك مدينة (دالى) الكبيرة متخذينها ميناهم الوحيدة
التجارية فى (لياوتنج) ونقطة ابتداء سكة حديد الصين الشرقية ولحماية هذه
المينا انتخبوا (نانشان) خلفها وبنوا بها استحكامات نصف دائرية وقد انفقوا
مدة عشر سنوات العشرات المليون من الجنيهات لتشييد هذه المدينة وتحصين
بورت ارثور ولتقوية نقطة (نانشان) هذه الامامية وقد قال لنا ضابط أركان
حرب روسى اسير ان الروسين كانوا يعتقدون أن نانشان تقاوم أعنف

مهاجمات اليابانيين زيادة عن نصف عام ومع ذلك لما ابتدأ جيشنا الثاني في الهجوم على الموقع جعل كل صعوبة كلاشي، فاليابانيون لم يفتكروا في مقدار التضحية بل رموا بأنفسهم على العدو بشدة حتى أن (كينشو) و (نانشان) و (دالتي) احتلت جميعها في يوم واحد فيمكنكم حينئذ أن تتصوروا شدة هذه المحاربة ولو أن مدة الحرب الصيني الياباني لم يكن أخذنا (نانكو والنيج) واحتلالنا بورت ارثور سهلا كبرم ذراع طفل ولكن ضابطا يابانيا من الذين وجدوا في الحرين قال لنا بعد ما شاهد الاستحكامات المنيمة الروسية في (نانشان) أن الموقعة التي حصلت من عشر سنوات لم تكن الا معركة صغيرة بالنسبة لهذه وحقيقة لاننا ضحينا فوق الاربعة آلاف رجل بين قتيل وجريح لغرض أخذ هذا الموقع المستحكم وعليه كان منظر الميدان بعد القتال بشما جدا ولو أن هذه الواقعة كانت طفيفة بالنسبة للهجوم العام على بورت ارثور ولكني شاهدت

في (نانشان) لأول مرة المناظر الهائلة بعد المواقف العنيفة

وقد دبرنا على كل حال تمضية ليلة في (شونجشياتن) وفي الصباح التالي أتقنا الاوامر بأن نتوجه وتقيم في (ينشياتون) وهي قرية في أسفل تل (نانشان) وكل من ه جي و ه جي بلوك من آلاينا استلم أمر بحرس (نانشان)

وبعد ما وصلناها صعدنا في الحال الى قمة التل المنحدر الذي أخبرتم عنه سابقا ومن هناك كنت أرى أمامي واديا فسيحا وفي يمينه (كينشو) وفي يساره (تاوشنچشان) المنحدر جدا وهو خلف رأسها وهذا هو موقع المحاربة العنيفة أمس وكان المحل ملآن بذكرى دوى المدافع وأصوات

الفتاهل وكان لا يمكننا أن نتحمل هذا المنظر المرهب والفظاعة هي الكلمة الوحيدة التي يمكننا أن نصف بها هذا المنظر

وكنا نرى من تل أمامنا دخانا ابيض يرتفع ناشرا رائحة غريبة وذلك كان ناشئا من حرق جثث أمواتنا البواسل وهو الهيكل الذي يحرق عليه ضحية الوطن وبدون شك أن المئات من هذه الارواح الوطنية ارتفعت الى السماء محاطة بهذا الدخان الى العميم واقدم رفعا فبعاتنا وانحنينا لهم فيينا كانت الامهات في الوطن تنزل ذا كرات اولادهن المحبوبين في الحرب وبينما كانت الزوجات وأطفالهن على ظهورهن يخطن ذا كرات أزواجهن الاعزاء مزقت هذه الابناء المحبوبة والازواج الاعزاء اربا وصاروا دخانا

وان النظر حتى الى رباط ملوث بالدماء ليس بمفرح ومن المؤثر النظر الى الجثث المتراكمة في الوادي أو القريبة من صخرة مصبوغة بدم احمرقان وأوجها زرقاء وجفونها منتفخة وشعورها ملوثة بالدم والتراب وأسنانها البيضاء عاضة شفاها فقط ملابسها الحمراء كانت باقية بدون تغير وانه لم يسمنى الا ان ارتجف لهول هذا المنظر معتقدا أن أكون نفسى مثلها عن قريب وما أمكن لاحد أن يقترب من هذه الجثث وينظر اليها باعتناء بل كنا نشير اليها من بعد برعب ووجل وكانت توجد في كل مكان نزالك (رباط يلف على الساق) منطخة بالدماء وقطع من الملابس العسكرية والقمصان والقمبات والخ كما كانت تنبعث الروائح الكريهة من كل فج وكانت صناديق البارود العديدة والظروف الفارغة المتراكمة عند حفر خط النار ترينا بوضوح كيف كان يقاتل العدو الجيش الفاتح بيأس وكلما رأينا أموات

العدو المتروكة بالميدان كان لا يسمنا الا أن نشاركهم في الاحساس نعم انهم كانوا اعداء ولكنهم كانوا يحاربون لاجل وطنهم أيضا ولقد دفنناهم باعترافنا، ولكن هؤلاء اذ بطل المغلوبون كان لا يوجد عليهم اسماء حتى يتمكن أن نرسلها لعائلاتهم فيلزم أن يكون آباؤهم، أزواجهم وأولادهم مشغولين برجوهم سالمين غير عالمين في معظم الاحوال متى وأين وكيف هؤلاء المحبوبون قتلوا، وكان على جميعهم صليب على الصدر فلتنتقم انهم ماتوا في رحمة الله وقد تستحق قتلى وجرحى الجيش المهزوم كل شفقة وكل خدمة انسانية ومساواة من عدوهم على حسب اتفاق الصليب الاحمر الدولي ولكن يلزم اجتناب الهزيمة بكل وسيلة لأنها أفظع من العار الذي يتسبب عنها فالمجروح يكون بلا شك حزينا لفراقه لرفاقه حيا أو على أهبة الموت بين أجناب لا يمكنه حتى التكلم معهم وحالة المقتول توجب الحزن أكثر أيضا وكان البعض عليهم بطاقات تحقيق شخصية وبذلك كان يسهل معرفة اسمائهم وقد أعلننا العدو على قدر الامكان بتلك الاعداد ولكن كان يوجد الكثيرون الذين لا يمكن تحقيق شخصياتهم وهذه دفنت اسمائهم في ظلام ايدي

وقد عملت الترتيبات اللازمة لمسكننا الوفني في (ينشيانون) ولما وصلت الى المسكن الاهلي الذي كان ممدداً لنا في ذلك المساء سمعت أنينا بشريا محزنا بالقرب من الباب وفي الحال هرولت الى ذلك المكان لأرى عذاب جهنم بعينه حيث وجدت خمسة أو ستة عشر يابانيا وواحد روسيا والجميع بهم جروح بليغة واقدين في صحن الدار مترامكين على بعضهم يذوون من شدة الألم وأول من شاهدني منهم بسط يديه طالبا عني المساعدة

ولماذا هذا الطلب ؟ . ألم تكن المساعدة من ديننا؟ وما أمكنني أن أتصور سبب ترك هذه الرفاق المساكين وحدهم في هذه الحالة ولو كنا علمنا ذلك من قبل لكننا أسعفناهم أكثر ولقد ناديت المطيبين ودموع التأثر تنحدر مني ولاطفتهم بما خفف آلامهم وبينما الجراح يشتغل في تضييد جراحهم كانوا يكررون لي قولهم : انني لا أنسى انسانيتكم . واني أشكركم وهم جرا وهذه الكلمات كانت تخرج من صميم قوادهم وعيونهم مملآى بالدموع وبعد التحقيق علم لنا أنهم لم يتناولوا حبة ارز واحدة أو نقطة ماء منذ يومين وكان بهم جميعا جروحات بايئة أما سيقانهم فكانت مكسورة وأذرعهم مهشمة وبهم جروح رصاص بالرأس والصدر وبعضهم كان على باب الموت ومن الأول من كانوا يقبضون على أيدي بعضهم أو يعززون بعضهم بحنو فما أجزن هذا المنظر ! وما أشقنا عليهم ! وحزننا تضاعف وشفقتنا عندما كنا نفكر أنه يوجد بجانبنا فوق الأربعة آلاف قتلى وجرحى غير ممكن أن نمد اليهم يد المساعدة وبعد برهة ابتداء انشان منهم يتغير لونها وصارا يتنفسان ببطئ فأسرعت الى جانبهم الا لا حظهما وقد ابتدأت أعينهما بأن تقفل وشفاهما وقفت عن الحركة وقد قال لي رفيق كان بجانبني أن هذين الاثنين تركا والدة عجوزا في الوطن وحيدة

أن من المحزن منظر الخيول المقتولة أو الجروحة فانها عبرت البحار للجرى في أرض غربية بين الرصاص الطائر ونصف المدافع وكانت تجرى وأسيادها على ظهورها بكل الشراخ وسرور في ميدان القتال وهو الوقت لرد مكافأة أسيادها على ما صنعوه لها في وقت السلم ويظهر حتى على خيول

الحمل أنها كانت ممجبة بنفسها ومتلذذة على أظفار قدرتها التي تمرنت عليها قبل
وهي حمل الأثقال الثقيلة أو جر العربات الثقيلة بدون تضجر ولقد كانت فائتها
في الحرب فوق الوصف ولو أن نتيجة نجاح الموافقة من نفة على مجرودات
الجند البواسل والضباط لكن لا يجب أن ننسى الدين الذي علمنا لمساعدة
حيواناتنا المخصصة لنا ومع ذلك فإنها قنعة أقل مما تستحق إذا أنها كانت
راضية بملف خشن وماء عكر غير متدمرة من تعرضنا الدائم للمطر والثلج
ظانه أن ملاطفات سيدها بها أعظم تسلية يمكنها الحصول عليها وصعوبة تأدية
واجباتها المهمة مساوية لما يقاسيه الجندي ولكنها لا تتكلم ولذا لا تقول عن
جروح أو آلام وأحيانا لا يمكن الحصول لها على دواء حتى ولا على تلميل
خفيف مشجع ولقد تلوى في نزاع الموت وتموت بدون أن ينتبه اليها أحد
وهي تصهل صهيها وداع محزن واجسامها لا تدفن بل تترك في ميدان
القتال اللذئاب والغربان التي تتغذى منها وعظامها الكبيرة القوية تبيض في
زوابع الخلاء الواسع الوحشي فهذه الخيول الامينة هي بواصل ايضا اذ هي تموت
موتاً فظيماً مؤدية واجباتها ولذا يلزم أن يلقى ذكرها باحترام وشكر وقد كان
صاحبى المحترم الكاهن (نا كاياشى) الذي كان رافق جيشنا مدة الحرب
كمريض متطوع يجمع شظايا (قطع) القنابل ليصنع منها صورة «كانون»
(المن آلهة اليابان) راكبا جوادا تمزية ارواح الخيول التي ماتت اثناء الحرب
وكان بوذى آخر اسمه (دووى) يطاب بالحاح انشاء جمعية صليب احمر بين
الامم للخيول كما توجد جمعية للبشر وهو يقول انه بدون ذلك لا يمكن أن يقال
اننا صادقون في قواعد الانسانية فتكلمنا بدون ذلك عن حنوننا ولطفنا نحو

الحيوانات المعجم يكونى اذا اصواتنا فارغة ويقال انه ساع فى تقديم هذا الطلب الى مؤتمر (لاهائى) القادم ولو وجد جراحون بيطرية حقيقة فى الجيش الا انه لا يمكنهم أن يقوموا بكل ما يلزم نحو هذه الحيوانات التمساء فلاصلاح هذا النقص وحماية هذه الحيوانات على قدر الامكان فجمعية الصليب الاحمر للخيول هو طالب يستحق الانتفات الشديد . ثم انى قد صمدت على (نانشان) لاشاهد ترتيبات موقع العدو هناك فرأيت كل شيء فى غاية الاتقان والترتيب . ويستحق حقيقة أن يكون لدولة حرية عظمى وبدون شك كان موجودا عرا قبل السوك وحفر الذئب واللغم الارضى وخطوط خنادق قوية حول الجبل . كان يرى فى كل مكان فتوحات للمدافع ذات الطاق السريع وعدد عظم من المدافع الثقيلة التى كانت افواها بارزة من فلاح عديدة ولما كان الموقع مستحكما بهيئة نصف مستديرة كانت توجد هناك قشلاقات ومخازن مملوءة من جميع اصناف اللبوسات الشتوية وكان موجودا ايضا سكة حديدية وطارية مدافع وعند ما دخلت بناء كان مكتب رئاسة القائد الروسى اندهشت من معيشة الترف والراحة التى كان يعيشها فهناك كان يرى الاناث الجميل حتى لا يظن الانسان انه كان فى ميدان قتال ومن الاغرب وجود ملابس ولد و عمدة تأنق (أواليت) للسيدات وملابس أطفال مبعثرة فى كل مكان

وبعد ما نظرت بنظارة ميدانى من هذا الموقع بعيداً نحو شاطئ البحر الشرقى فرأيت رجالاً مخبولاً رافدين على الشاطئ وهى بقايا لواء سوارى العدو الذى كان موجوداً بالقرب من (لاوهوشان) للمدافعة عن الجناح اليمين

لخطوطهم ولكن فاجأتهم الفرقة الرابعة من الخلف عند الشاطئ الغربي ولما لم يكن عندهم طريق للتقهقر سيقوا الى البحر وهناك غرقوا عن آخرهم تقريبا وانهم جلبوا على انفسهم هذا الهزيمة لانهم كانوا متكئين كثيرا على قوة موقعهم ولذا خسروا فرصة التقهقر عند الوقت اللازم

ولقد رأينا في نصف الطريق الى الجبل آلة نور البحث وتلا من الصواريخ وهي الاشياء التي كانت تسيق غالبا محاولتنا ان تقترب من العدو في جنح الظلام ولذا اتلفت جنودنا نور البحث هدامت مقميين منه بعد احتلال الموقع لان هذه الآلة اتمبتهم كثيرا واقد ملأني هذا المنظر الذي كان امام عيني حزنا وكآبة ففي كل ساعة كانت تزداد قطع الخشب المغروسة للآلة على مدافن القتلى واقد لاحظت أثناء بحى هضبة من التراب مغروسا عليها قطعة غاب فصعدت الى أعلى الهضبة لأرى ماها ولكنى ارتعدت عند استكشاف جثة روسي تحتها وكانت ذلك اول مرة لي في الوطء على جثة ولذا لا يمكنني أن أصف الرعب الذي شعرت به وكنت لم احارب قبل وعليه فما وسعني الا أن ارنجف لتأثيراتها المحزنة ومن الغريب اني لم أزل افكرها لان كل ما زاد الرصاص الطائر في مقابلة الانسان كلما قل احساسه في الحرب فالشيء المؤثر يصير بالتمرين غير مؤثر والالفه تأخذ بطرف الاحساس فاذا استمر بنا التأثير والخوف بهذه الكيفية لا يمكننا أن نعيش بعد الجهاد

وقد استمر جيشنا مدة ست عشرة ساعة وهو يقاوم بثبات رصاص العدو الهاطل وأخيرا استولى على (نانشان) بعد هجومات عديدة وتضحية عدد عظيم من أرواح عزيزة وبذلك حصلنا على مفتاح جميع شبه جزيرة (كينشو)

قاطعين خط مواصلات العدو وصار ممكنا الآن ترك خليج (تائن) بدون خوف أو انزعاج وعاملين كل الترتيبات اللازمة للهجوم العام على بورت ارثور وان انتصارنا في (نانشان) كان حادثا عظيما في تواريخ الحروب و هذا النجاح الباهر لم يكتسب بقوة البارود والمدفع ولكن في الحقيقة بدسالة وثبات رجالنا إذ في أثناء القتال عند عدم نجاح الهجوم الثالث أصرخ القائد (أو كو) بصوت كالرعد: أين ياماتوداماشي؟ (روح اليابان) وعلى ذلك اكتسب جميع الجيش قوة جديدة وأخذ نفسا طويلا ثم استولى على الموقع عنوة بالهجوم ولقد قال السير كلود مكديونلد (سفير انكلترا الحالي في اليابان) «أن سر نجاح جيش اليابان الدائم في هذا الحرب كان للرجال دون البنادق وموقعة (نانشان) هذه كانت برهانا لهذا النوع»

❖ الفصل التاسع ❖

❖ الحفر والاستكشاف ❖

كان يوم ٢٨ مايو هو الذي توجهنا فيه الى (شانجشياتونج) للحلول محل الفرقة الثالثة المدافعة ولقد افترقت فرقتنا بعمد (نانشان) من الجيش الياباني الذي كان تحت إمرة القائد (أو كو) ولحقت بالجيش الثالث المنظم حديثا المحاصرة بورت ارثور وبوآن المسير بين (كينشيانون) و(شانجشياتون) كان غير بعيد الا أنني كلما كنت أفكر شيئا بخصوص السير لا أزال أتذكر هذه المرة بالخصوص فلارض التي حول بورت ارثور مكسوة بالاحجار